



دير مار مرقس في القدس

أ. قصي فزري عباس

جمعية الدراسات العربية، مرشح للماجستير في «برنامج الدراسات المقدسية»/ مركز دراسات القدس - جامعة القدس، مراجعة علمية: د. يوسف النتشة، مدير مركز دراسات القدس

المقدمة

تتميّز البلدة القديمة عن مثيلاتها بصفات عدة، فهي تحتضن أماكن مقدسة للديانات التوحيدية الثلاث، إلا أنها كانت المسرح الأهم في حياة المسيح (عليه السلام)، ففيها قام بالمعجزات، وفيها كان يعلم تلاميذه ويتجول معهم في طرقاتها، وفيها سار درب الآلام الذي يسلكه الحجاج المسيحيون وصولاً إلى كنيسة القيامة، وفيها أيضاً مسقط رأس والدته حسب التقليد المسيحي الشرقي.

فالواقع المسيحية المقدسة منتشرة في كل درب من دروبها، حيث إن المسيحية ولدت هنا، وقد اتفق المؤمنون على مختلف الأحداث المذكورة، ولكنهم اختلفوا أحياناً حول مكان وقوع الحدث، وهذا الاختلاف وإن تظاهر سلبية في البداية، إلا أنه في الواقع، هو الذي أغنى المدينة الصغيرة، بتراثها الحضاري وزاد من مشهدها المعماري، وجعل تنوعها الثقافي ميزة لها.

إن تحديد مواقع الأماكن المقدسة المسيحية ليس بالأمر السهل، فلم يتم دوماً تحديد

المكان لحظة وقوع الحدث، ولكن من المؤكد أن كل مؤمن بأي موقع، لا يحتاج إلى كثير من الحجج لتحديد مواقع إيمانه وعقيدته، ولكن من المثير للاهتمام بما يخص مواقع القدس المسيحية، رغبة الكنائس المختلفة بعد الانقسامات التي شهدتها الكنيسة هي التي جعلت مختلف الكنائس تبدع في إيجاد أماكن مختلفة لموقع أحداث معينة حتى يصبح لديها أماكنها المقدسة الخاضعة لسيطرتها، ولا ننسى صراع القوى المحلية والوافدة خلال فترة الحكم العثماني الطويلة للمدينة وفي فلسطين وما حولها.

أوجبت دراسة دير مار مرقس في القدس على الباحث محاولة فهم واستيعاب أهمية المكان الروحية والتاريخية والدينية حسب التقليد السرياني الأرثوذكسي، وتطلب الاطلاع على مراجع سريانية أصيلة (لم يتم ذكرها جميعها في صفحة المراجع لكثرتها)، ولكن تلك المراجع على كثرتها، إلا أنها تكرر المعلومات المتعلقة بالدير ولكن بصياغة مختلفة. ولتعويض ذلك ركز الباحث كثيراً على جولاته الميدانية المتعددة، التي من خلالها تعرّف على الموقع عن قرب وتحدث مع الأصدقاء السريان بصراحة، فجميع الصور الموجودة في البحث، هي من تصوير الباحث خلال جولاته المتعددة في الموقع، وقد أثار دهشة الباحث مدى اهتمام الباحثين الأجانب والسريان (أمريكيين وأوروبيين) بالموقع، وذلك من خلال ما قاموا به من دراسات خاصة أو رسائل دراسات عليا.

ومن المعروف أن دير مار مرقس هو مقر مطران الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في الأرض المقدسة والأردن، أي إنه حالياً يدير مصالح رعيته المنتشرة في ثلاثة كيانات سياسية مختلفة، السريان في القدس الخاضعة لإجراءات الاحتلال وسياساته، وبيت لحم التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية، والأردن، بمعنى أن هذه الأبرشية حتى عام (1967م) لم تكن مجزأة سياسياً، ولكن كل فئة منهم الآن تعيش تحت ظروف مختلفة كلياً، وبالتالي اختلفت أيضاً التطلعات والرغبات، رغم استمرارية التواصل بينها من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أو جسدياً في المناسبات الدينية المختلفة.

يعود الوجود السرياني في القدس إلى القرن الأول الميلادي، إلا أن مجيئهم الحديث إلى



فلسطين، كان عند نهاية الحكم العثماني ودخول الانتداب البريطاني الذي هيأ الظروف للاستعمار الصهيوني الإحلالي، وبذلك عانى السريان مثل بقية السكان المحليين من النكبة ومن النكسة، وبذلك مرّ سريان القدس، بذات الظروف الذي تمر بها المدينة منذ مئة عام.

يقع البحث في قسمين: الأول خاص بمراجعة أدبيات السريان حول الأهمية الدينية والتاريخية للمكان، وصولاً إلى محاولة وصف المكان كما نراه اليوم، أما القسم الثاني فيتناول نبذة عن السريان عامة والسريان في فلسطين والقدس خاصة.

القسم الأول: دير السريان تاريخه وعمارته أولاً: مبنى دير مار مرقس (مرقص) السرياني الاسماء المختلفة

(1) موقعه: - «يقع دير السريان في القسم الجنوبي الغربي من البلدة القديمة في طريق أارات⁽¹⁾ (ARARAT)؛ عند التقاء طريق الحصر مع طريق دير مار مرقس. ويمكن الوصول إلى الدير عبر عدة طرق في البلدة القديمة، طريق دير المواردنة المقابل لقلعة القدس أو طريق باب الخليل نزولاً يمين أول مفترق (طريق مار مرقس) أو بسلك طريق سوق الحصر وأول مفترق يميناً أو من طريق حارة اليهود (طريق حباد).

(2) وكان موقع الدير ضمن حارة تاريخية من حارات القدس القديمة، كانت تعرف بـ«حارة التبانة»⁽²⁾، التي ينتشر السريان اليوم فيها»⁽³⁾، وهو أهم ما يميز هذه الحارة. وحسب

(1) يقع جبل أارات في منتصف الطريق الواصل بين بحيرة فان في الجنوب الغربي من تركيا وبحيرة سيفان إلى الشمال الشرقي في أرمينيا. متوضّعاً في الطرف الجنوبي الغربي من سهل أارات، وممتدّاً على الحدود التركية وحدود أرمينيا وإيران وأذربيجان. للمزيد: <https://bit.ly/3jzDfFw> وهو المكان الذي استقرت فيه سفينة نوح بعد 150 يوماً من حدوث الفيضانات التي غمرت الأرض حسب الكتاب المقدس.

(2) حساني، أسامة. «القدس في ظل الدولة العثمانية»، موقع إلكتروني ترك برس <https://www.turkpress.co>، تاريخ النشر: 2015/02/09. المعاينة بتاريخ: 2022/12/20 على: <https://www.turkpress.co/node/5539>

(3) أهرام، مازن. (2022/12/20). «حارة السريان»، موقع إلكتروني: أخبار البلد <https://www.akhbarelbalad.net>. تاريخ النشر: 2020/08/25. المعاينة بتاريخ: على:

العارف كان الدير يقع «في حارة الجواعنة بين حارة الأرمن واليهود»⁽¹⁾. أما حسب البوابة القبطية فموقعه هو «في حارة الشرف (ويسمونها حارة الجواعنة) بين حارتي الأرمن واليهود بجوار كنيسة القديس توما»⁽²⁾. ويقع بالقرب منه «المسجد العمري الصغير»⁽³⁾.



موقع الدير هو موقع رقم 15



طريق الدير ويظهر فيها مدخل المسجد العمري الصغير

3 قيمته التاريخية والروحية لدى السريان الارثوذكس

تعتبر طائفة السريان الدير «من أجل الآثار التاريخية المسيحية»⁽⁴⁾، فهو شاهد على الفترات والحقب الزمنية المختلفة التي مرت بها مدينة القدس: متجذرة من القرن الأول قبل الميلاد (الفترة الرومانية) وصولاً إلى أيامنا هذه.

ومما يعزز الرواية التاريخية ويمدها بالوثائق المهمة، اكتشاف الرقيم الآرامي من القرن السادس الميلادي⁽⁵⁾، وهو كتابة بالآرامية الفلسطينية القديمة وقد تم اكتشافها عام

<https://www.akhbarelbald.net/ar/1/5/5571/20>.

(1) العارف، عارف. «المفصل في تاريخ القدس». المؤسسة العربية للدراسات والنشر عمان. 2005. الطبعة الثالثة. ص: 762.

(2) مختار، ريم. (2021/04/22). دير مار مرقس بالقدس.. «أول كنيسة مسيحية في أورشليم». موقع إلكتروني: البوابة القبطية / <https://www.albawabhnews.com> /4325924. المعاينة بتاريخ: 2022/12/20 على: <https://www.albawabhnews.com/4325924>

(3) المسجد العمري الصغير (فيديو) على <https://www.youtube.com/watch?v=RIUUx6rqIo>

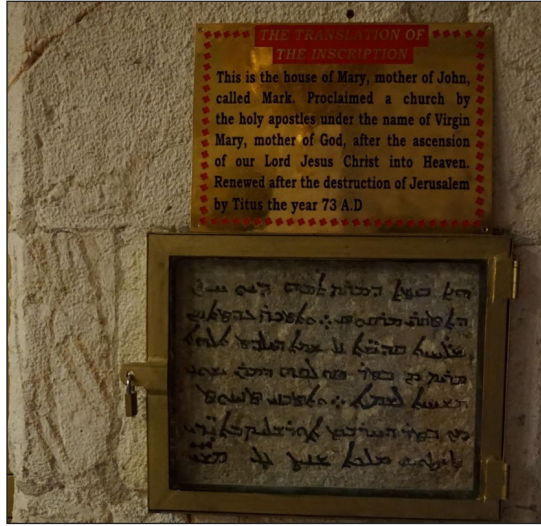
(4) بولس بهنام، 1962، صفحة التصدير.

(5) بولس بهنام، 1962، ص: 5.



(1940م)، أثناء عملية صيانة كنيسة مار مرقس، فعلى ارتفاع متر تقريباً من الأرض، على القائمة اليمنى من الواجهة الداخلية في مدخل باب الكنيسة، تم اكتشاف نقش على حجر صلب، مكّنه من مقاومة عوامل التلف طيلة هذه القرون. أما نص الكتابة التاريخية، فمعناه: «هذا بيت مريم أم يوحنا المدعو مرقس، وقد جعلها الرسل القديسون كنيسة مكرّسة للاسم والدة الله مريم، وذلك بعد صعود سيدنا يسوع المسيح إلى السماء، وقد تمّ ترميمها سنة 73م، بعد تدمير الملك تيطس لأورشليم»⁽¹⁾.

حظي هذا النقش على مصادقة «دائرة الآثار في القدس»⁽²⁾، والمهندس الخاص بكنيسة القيامة «وأكدوا بأن هذه الكنيسة لا تقل قيمة تاريخية وأثرية عن كنيسة القيامة والمهد المقدس»⁽³⁾. يعود تاريخ الرقيم إلى القرنين الخامس أو السادس الميلادي بدليل الحرف الآرامي الفلسطيني المميز من خلال صورة وشكل حرفي (الألف) و(التاء)⁽⁴⁾.



الرقيم (النقش) الآرامي

(1) نفس المرجع، ص: 6.

(2) خلال فترة الانتداب البريطاني.

(3) بولس بهنام، 1962، ص: 6.

(4) الكنيسة السريانية الارثوذكسية (الآرامية)، 2009، ص: 6.

4) قيمته الدينية لدى السريان الأرثوذكس

يحتفظ المبنى حسب التقليد السرياني بقيمة روحية مهمة فهو «بيت مريم أم يوحنا المدعو مرقس»⁽¹⁾، الذي تكرر ذكره في سفر أعمال الرسل مرارًا، ومرقس «هو أحد التلاميذ السبعين»⁽²⁾ وأحد الإنجيليين الأربعة، حيث دون سيرة السيد المسيح (عليه السلام) وله إنجيل عرف باسمه، فهذا الدير إذاً على اتصال مباشر بنشأة المسيحية وأسرارها الجليلة المقدسة، المتعلقة بالسيد المسيح (عليه السلام) وتلاميذه الكرام.

وبالتالي، فقد أضفى الرقيم الآرامي المكتشف عام (1940م) قيمة دينية، وأكد بأن الدير يقوم على أساسات بيت والدة يوحنا الذي دُعي «مرقس»، وبما أن لغة الرقيم هي السريانية فهذا يعني بأن الدير ملك للكنيسة السريانية، و«كنيسة العذراء» هي أول كنيسة في العالم حسب ادعاء السريان الأرثوذكس ومصادرهم، التي أُعيد بناؤها ثانية سنة (73م)، أي بعد تدمير القدس على يد القائد الروماني (تيطس)، فهو عليّة صهيون، حيث العشاء الأخير وغسل المسيح لأرجل تلاميذه حسب ادعاء السريان الأرثوذكس ومصادرهم.

كان الدير «مقرّاً لأساقفة أورشليم اعتباراً من الأسقف الأول يعقوب البار، الملقب بأخي الرب، وحتى القرن الرابع»⁽³⁾. ثمّ تحول إلى مقر مطارنة أورشليم السريان منذ العام 1471م⁽⁴⁾.

قيم روحانية عظيمة

الأحداث الكتابية التي جرت في المكان وفق تقاليد السريان الأرثوذكس⁽⁵⁾

(1) الكنيسة السريانية الأرثوذكسية (الآرامية)، 2009، ص: 3.

(2) نفس المرجع.

(3) بولس بهنام، 1962، ص: 19.

(4) نفس المرجع، ص: 20.

(5) الكنيسة السريانية الأرثوذكسية (الآرامية)، 2009، ص: 10.



هناك أربعة عشر حدثًا كتابيًا، وفق تقاليد الطائفة السريانية، حدثت في هذا المكان، سيقصر البحث على ذكر أهمها وهي: «تناول الرب الفصح الموسوي مع رسله»، إعلانه لهم عن آلامه وموته وهناك ظهر لهم بعد خمسين يومًا من موته (عيد العنصرة)، أي يوم حلول الروح القدس على التلاميذ، وفيه واصل الرسل والمؤمنون اجتماعهم بعد الصعود، وهو مكان اجتماع الرسل والمؤمنين حين تم إطلاق سراح القديس بطرس من السجن، فجاء إليهم وهم يصلون هناك لأجله، وفيه منحوا التثبيت لسائر المؤمنين المعتمدين حديثًا، ونالت مريم العذراء (عليها السلام) سري العماد والتثبيت من الرسل، وفي عام (51م) التأم فيه أول مجمع في المسيحية والمؤلف من الرسل والشيوخ. فهو إحدًا موقع العشاء الأخير وحلول الروح القدس يوم العنصرة. وقد أكد القديس مار أفرام السرياني من القرن الرابع، وكان شاعرًا، على أن العهد الجديد العظيم قد انبثق من دير صغير، فيه ألغى الرب القرايين العتيقة وأبطل التقاليد الكاذبة (تقاليد العهد القديم اليهودية)، وثبت عيد الفصح المسيحي (فرض ليلة خميس الفصح)، وأعطى سري جسده ودمه لرسله الكرام⁽¹⁾.

الدير هو موقع عليّة صهيون حسب معتقد السريان الأرثوذكس

يرى (بولس بهنام)⁽²⁾ في كتابه، بأن:

– جغرافية المدينة المقدسة في عهد السيد المسيح كانت معروفة، أي إن الدير يقع في جبل صهيون، الذي «يتدئ من قلعة داود الملك، وينزل في شارع الملك داود المعروف اليوم بالبازار». وربما يمتد حتى باب السلسلة.

– السور الثالث الذي كان في عهد المسيح (عليه السلام)، والذي أقيم في عهد «هيرودس الكبير» يفصل بين جبل صهيون عن مدينة أورشليم وجبل موريا.

أما حسب الكنيسة السريانية الأرثوذكسية (الآرامية)⁽³⁾:

(1) بولس بهنام، 1962، ص: 11.

(2) نفس المرجع، ص 13.

(3) الكنيسة السريانية الأرثوذكسية (الآرامية)، 2009، ص: 8.

– تكريس الرسل للمكان كأول كنيسة في المسيحية، دليل حدوث أحداث دينية سامية (العشاء الأخير ويوم العنصرة).

– المسيح وتلاميذه (عليهم السلام)، قضوا معظم وقتهم في الجليل، ولم يأتوا إلى القدس إلا مرات قليلة، حيث كان مكان إقامتهم في بيت مرقس، وكان المسيح قد أوصى تلاميذه عند الصعود أن «ارجعوا إلى أورشليم ولا تبرحوها حتى تنالوا وعد أبي، أي حلول الروح القدس عليكم وعندئذ تشرعون ببشارة الإنجيل إلى الخليقة»، بمعنى طلب منهم أن يعودوا إلى مكان العشاء الأخير، وهو بيت مرقس المكان الوحيد الذي يعرفونه جيّدًا.

– المسيح (عليه السلام) أوحى إلى مرقس أن يحمل جرة ماء⁽¹⁾ على كتفه، ليتعرف عليه تلميذاه ويعلماه بموعد إقامة العشاء السري في بيته.

– حينما تم إطلاق سراح القديس بطرس من سجنه في دير العدس⁽²⁾، جاء إليهم وهم يصلّون فيه لأجله، بمعنى أنه جاء إلى المكان الوحيد الذي يعرفه.

ثانيًا: دراسة معمارية ووصف للدير

لا يعتبر الدير ذا فخامة معمارية ولا جمال هندسي، ومع ذلك فإن البساطة والتكشف تغلب عليه وتجعل من «كل شيء في الدير وكنيسته يدل على الأصالة والقدم»⁽³⁾، مما يضفي عليه دهشة ووقارًا روحيين. يحتوي المجمع المعماري على أربعة أقسام رئيسة هي:

1. الواجهة الخارجية والمدخل.

2. الفناء الداخلي، نصل إليه من البوابة الخارجية الرئيسة.

(1) حمل حينها كان من أعمال النساء مرقس كان من عائلة ميسورة ولديها خدم كان بإمكانه طلب ذلك من أحد الخدم.

(2) سلمان، 2022، ص: 24.

(3) بولس بهنام، 1962، ص: 15.

فنحن أمام كنيسة إفرنجية بُنيت على أنقاض كنيسة بيزنطية، والتي بنيت بدورها على أساسات من الفترة الرومانية هي بيت يوحنا مرقس. القسم السفلي ما زال يحمل الطرز الرومانية والبيزنطية، أما القسم العلوي بما فيه من أعمدة وأقواس، يحمل الطراز الإفرنجي. لسبب أو لآخر انقطع استخدام المبنى، إلا إن أعمال الصيانة المتعاقبة انطلقت من جديد منذ عام 1728م، وهي مستمرة إلى يومنا هذا كلما استدعت الحاجة إلى ذلك.

ثالثاً: وظيفة الدير واستخداماته المتنوعة دير مرقس في التاريخ⁽¹⁾

تعددت الأدوار التي تميزت بها الكنيسة الأولى عبر التاريخ، فتحولت إلى مقر أثري ومن ثم إلى مزار ديني، وصولاً إلى دير يسكنه الرهبان المتفرغون للعبادة وإرشاد الناس. ورغم كل عمليات الترميم من صيانة وتجديد، إلا أن المعالم الأولى مع محاولة الحفاظ على بساطته المعمارية الأولى وعلى ملامحه القديمة التي أوهبتها إياها العصور المتعاقبة.

I. الترميمات حسب وثائق الدير:

– سنة 1718: كان الدير بحالة يرثى لها، واستمرت أعمال الترميم إلى عام 1719م، وتحقق الآتي: ترميم الدير من الداخل والخارج، وترميم الكنيسة، وفتح مدرسة، وتنظيم المكتبة الأثرية بالدير، وشراء دار محاذية للدير، والتي ضُمَّت لاحقاً إلى الدير.

– خلال الفترة 1738م-1744: ترميم شامل للخارج (السور) والداخل (عمارة جديدة جميلة) وتم وضع باب من حديد.

– استمرت الترميمات ففي عام 1792م تم تزيينه، وفي عام 1792م وعام 1840م تم الترميم وشراء أراضٍ وحبسها وقفاً عليه. وفي عام 1882م كانت هناك أعمال ترميم أخرى.

– في عام 1940م أعمال الصيانة التي كشفت عن الرقيم الآرامي (فترة الانتداب البريطاني).

(1) بولس بهنام، 1962، ص: 15-19.



- واستمرت أعمال الترميم والبناء في فترة الحكم الأردني، ففي عام 1958م تمت إضافة ست غرف جميلة، أما في عام 1961م تم بناء غرفة وإصلاح غرفتين وممر.

II. الترميمات حسب تقرير سلطة الآثار الإسرائيلية⁽¹⁾

أصدرت «سلطة الآثار الإسرائيلية» في 24 / 01 / 2021م، تقريرها عن نتائج أعمال مرحلتين من الحفريات الأثرية أجريتا بالقرب من الكنيسة داخل دير مار مرقس خلال الفترة تشرين الثاني 2010- كانون الثاني 2011م، ينطلق التقرير من رأي يشوع بن أرييه (BEN-ARIEH, YEHOSHUA)⁽²⁾، الذي أفاد بصعوبة تحديد تاريخ بناء الدير السرياني الحالي، وذلك بسبب أعمال ترميم خاطئة خلال العقود الأخيرة الماضية. لذلك قام فريق «سلطة الآثار الإسرائيلية» بإجراء الفحص على مرحلتين، الأولى في الفناء الخارجي بالقرب من جدار الكنيسة الشمالي والجدار الشرقي للفناء المسقوف بمساحة (4 x 5م)، والثانية في الدهليز الأثري (أسفل أرضية الكنيسة) بمساحة (3م x 7م)، حيث تم الحفر على عمق 4,5 أمتار، ولكن دون الوصول إلى مستويات التسلسل الأثري، حيث كانت إحدى المعوقات للوصول إلى حفريات ونتائج أكثر دقة هي أعمال الحفر غير المصرح بها التي تضمنت إزالة التراب والطمي بطريقة غير مهنية عندما تم تحويل القاعة إلى (كنيسة صغيرة)، وأيضاً عمليات حقن أساسات المبنى بالإسمنت السائل في فترة السبعينيات⁽³⁾، مما أدى إلى تغلغل الإسمنت في الطبقات الأثرية المختلفة مسبباً ضرراً كبيراً جداً على قدرة تمييز التراكبات

(1) The Israel Antiquities Authority, Levi, Ron. «Jerusalem, The Assyrian Monastery», on date: 24.01.2021 Vol: 133.

https://www.hadashot-esi.org.il/report_detail_eng.aspx?id=25884&mag_id=133%20%20%20

(2) أهم المختصين والباحثين الإسرائيليين في تاريخ القدس و(أرض إسرائيل)، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني:

<https://www.encyclopedia.com> على الرابط: <https://bit.ly/3Q5IqsY>

(3) خلال مقابلة الباحث مع مسؤول المكتبة بالدير، أكد حقن المبنى بكميات هائلة من الإسمنت السائل بسبب تسرب مياه الصرف الصحي إلى داخل المبنى، مما أدى إلى حدوث التشققات بالمبنى، قام بتلك الأعمال بلدية الاحتلال بدعوى تدعيم أساسات المبنى.

والحشوات وتحليلها بشكل كامل.

بلغ عدد الطبقات التي تم فحصها في الحفريات الأولى، ثماني طبقات تغطي فترة القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي، والعصر الروماني المتأخر وحتى القرنين الثاني والرابع ميلادي، والفترة البيزنطية، أي القرنين الخامس والسادس الميلاديين، والقرنين الثامن والتاسع الميلاديين، والقرن العاشر الميلادي، والقرن الخامس عشر الميلادي والقرن العشرين الميلادي.

أشارت اللقى من هذه الحفريات رغم المعوّقات سابقة الذكر، إلى دلائل تشير بدورها إلى الفترات السابقة، منها: (أوان فخارية (دوارق وأباريق ومصاييح) وعملات معدنية (إحداها يعود إلى زمن نيرون) ورماد وعظام محترقة ربما تشير إلى تدمير القدس في 70م، ختم الفيلىق الروماني العاشر، وبقايا حشوات جصية، بقايا تعود إلى أواخر العصر المملوكي والفترات العثمانية المبكرة، قبر يحتوي على بقايا هيكل عظمي لامرأة أكبر من 50 عامًا يعود إلى الفترة المملوكية والعثمانية المبكرة. أما الحفريات الثانية ففحصت خمس طبقات تعود إلى: الفترة البيزنطية المبكرة والفترة البيزنطية (قطعة واحدة من الجص تحتوي على عملة/ عملات (nummus) من عهد جستينيان الأول (552-565 م) وأواخر العصر البيزنطي - أوائل العصر الأموي والعصر العباسي وفترات لاحقة تشير إلى القرن العاشر الميلادي.

خلاصة التقرير: جاءت النتائج محدودة، وذلك بسبب صغر منطقة التنقيب وبسبب المعوّقات التي تم توضيحها سابقاً، إلا أنه يبدو أن الهيكل الحديث للكنيسة يعود إلى ما بعد القرن الخامس عشر الميلادي (قبر المرأة يشير إلى أن بناء الكنيسة الحالية بالإضافة إلى رصيف الفناء، يعود تاريخها إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر). ولكن توجد دلائل على بناء يعود إلى القرن السادس الميلادي بدليل العثور على عملة (Nummus) من عهد جستينيان الأول⁽¹⁾ ورغم وجود بقايا ولقى من القرنين الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد من بينها مواد نشأت في تدمير 70م، إلا أنه لا توجد دلائل على بقايا مبنية من الفترة ما بين

(1) يؤكد الفترة التي يُنسب إليها الرقيم الحجري.



تدمير 70م والفترة البيزنطية⁽¹⁾. ويرى التقرير أن وجود «ختم الفيلق الروماني العاشر»⁽²⁾ قد يشير إلى تحضيرات بناء معسكر الفيلق «إذا كان بالفعل قد بُني على التل الغربي» حسب (Weksler-Bdolah 2015)⁽³⁾.

رابعًا: وصف بعض أجزاء المبنى كما نراها اليوم

I. مدخل الدير

لدير مار مرقس مدخل جميل، ارتفاعه معتدل، يعلوه عتبة حجرية مغطاة بزخرفة من الفسيفساء (مكتوب عليها باللغتين الإنكليزية والسريانية «بطركية السريان الأرثوذكس»، يعلو الكتابة رأس أسد وهو رمز الإنجيلي مرقس الممثل بأيقونة يعلوها صليب، يحيط بها غصنا كرمة وهي ترمز إلى السيد المسيح عليه السلام.

فوق العتبة يقوم عقد مدبب زخرف حجارته بصنح الوسائد، وتحفه مكسلتين صغيرتين أو دعامتين. على الجهة الشرقية من البوابة يوجد لوحة إرشادية من الرخام مكتوب عليها: دير مار مرقس وعلية صهيون ومنزل القديس مرقس وأنها أول كنيسة بالمسيحية. البوابة مكونة من دفتين مصنوعة من الحديد عليها زخارف إنجيلية حيوانية ونباتية وصليب.

ملاحظة 1: تمت مقارنة العقد مع عقد مدخل كنيسة القيامة وقوس مريم. التي ينطبق عليها الطراز الإفرنجي «العقود متعددة الطبقات»⁽⁴⁾.

ملاحظة 2: يصعب على الباحث معرفة فترة البناء بدقة، فالطراز إفرنجي لكنه استخدم

- (1) مخالف لنص الرقيم الأثري الذي يؤكد إعادة البناء في عام 73م. لكن التقرير اعترف بأن نتائجه مقيدة.
- (2) أحد فيالق القائد الروماني تيطس الذي دمر القدس عام 70 ميلادي.
- (3) عالمة آثار في سلطة الآثار الإسرائيلية. مديرة مشاركة لحفريات ساحة الحائط الغربي (2005-2009)، يحفر في القدس منذ عام 1991.
- (4) التنشئة، 2020، ص: 71.

خلال الفترة المملوكية والعثمانية ويرجح الباحث بأنه من الفترة المملوكية المتأخرة وقد رُمّم قديماً وحديثاً.



المدخل من الساحة الداخلية



مدخل بطركية السريان الأرثوذكس
مدخل دير مار مرقس

II. الساحة الداخلية

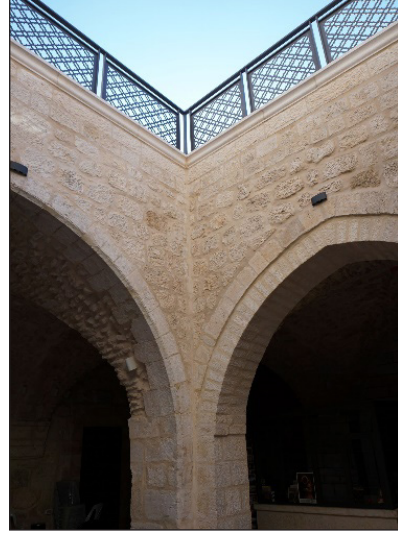
هي داخلية بالنسبة لبوابة الدير، وخارجية بالنسبة لمبنى الكنيسة. فعند الدخول من البوابة نجد فناءً مكشوفاً، على جهة الشرق نجد بوابة ودرجاً يقود إلى الدير والمكتبة ونُزل خاص بالحجاج والزائرين.

الفناء المكشوف مُحاط بأقبية متقاطعة (Cross Vault) من جهتي الغرب والشمال، وهناك قبو متقاطع ثالث داخلي يحاذي القبو الغربي باتجاه الشمال، ويحاذي القبو المتقاطع الشمالي باتجاه الغرب، وهذا القبو الثالث يعلو بوابة النساء المؤدية إلى الكنيسة.

مقابل البوابة الخارجية يوجد القبو المتقاطع الشمالي الذي يعلو بوابة الكنيسة الرئيسية (بوابة الرجال)، هذا القبو مستند على دعامين ضخمتين مكونة من الحجارة المستطيلة ويستند على الجدار الشمالي للكنيسة. بقي أن نشير إلى أن العقود المستخدمة في الفناء هي من نوع العقد المدبب.



كما ذكر سابقاً، تم ترميم الفناء بكل عناصره في فترات سابقة مرات عديدة، مما يجعل من الصعب التعرف على فترة البناء التاريخية بالتحديد، ولكن استناداً إلى تقرير دائرة الآثار الإسرائيلية وشهادة راهب الدير المقيم بالدير منذ 42 عاماً، فإن فترة البناء الأصلي للفناء تعود إلى القرن الخامس عشر ميلادي (مملوكي متأخر).

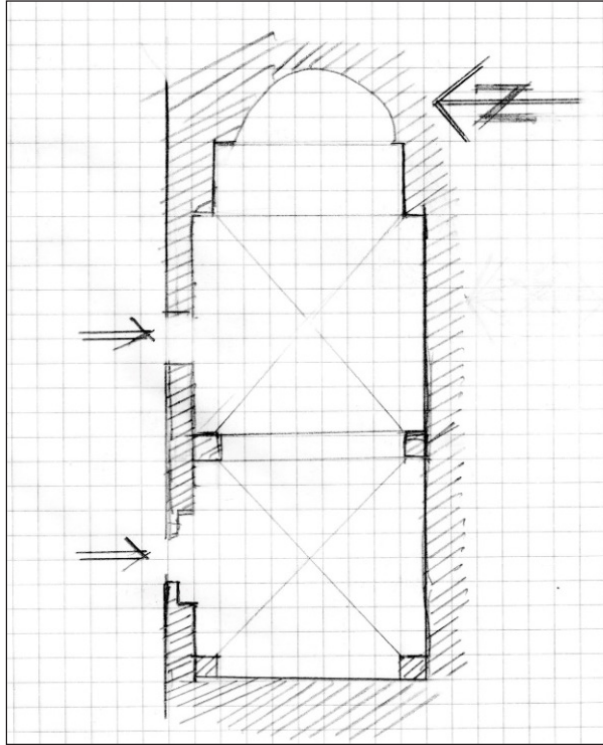


III. تخطيط كنيسة العذراء مريم

مسقط الكنيسة طولي مستطيل يشغله صحن واحد مركزي، وفي جهته الشرقية نجد حنية الهيكل، سقفه مقبب، يمتد من الغرب إلى الشرق، فسقف الكنيسة المقبب يقوم على قباوين (عقدين) متقاطعين، وعقد نصف برميلي يعلو منطقة هيكل الكنيسة المذبح.

ترتكز القباب المتقاطعة في الوسط على دعامتين حجريتين مستطيلتين متقابلتين، ودعامتين أخريين إحداهما في الزاوية الغربية الشمالية والأخرى في الزاوية الغربية الجنوبية، بينما الجهة الشرقية ترتكز على قبة نصف برميلية تعلو كما ذكر منطقة المذبح.

يعلو الأعمدة (الدعامات الحجرية المستطيلة) تاج عمود بسيط يعلوه كورنيش أنيق، الحائط الشمالي يحتوي مدخل الكنيسة الرئيسي الذي تقع على يمينه الدعامة الحجرية التي عليها الرقيم الأثري، ولاحظ الباحث وجود شطف بسيط، وكذلك يحوي في أعلى عقديه نافذتين يوازيهما حنيتين مائلتين مغلقتين في الحائط الجنوبي المقابل (ربما نوافذ مغلقة)، وهناك شباك آخر في أعلى الحائط الغربي.



مسقط رواق الكنيسة⁽¹⁾

(1) رسم مهندس معماري، صديق الباحث. لم يتسنَّ للباحث الحصول على مخطط رسمي للمبنى.



الجزء العلوي من المذبح

IV. الدهليز (القبو) السفلي: في الزاوية (الغربية- الجنوبية) من كنيسة العذراء، يوجد درج يقود إلى القاعة الأولى من (الدهليز السفلي)⁽¹⁾، ومن الشائع أن هذه الغرفة الصغيرة نوعاً ما، هي غرفة «العشاء الأخير»⁽²⁾ حسب الكتب والمنشورات، إلا أنه تم اكتشافه ببداية ثمانينيات القرن الماضي⁽³⁾، وتمت تهيئته ليكون مكاناً للصلاة.

تم ترميم المكان منذ كشفه عدة مرات، وربما الترميم الأخير يعود إلى فترة قريبة جداً، فلذا نجد بعض الحجارة من جدران قديمة قد تعود إلى أواخر الفترة الرومانية وبدايات

(1) يتحدث بهنام في كتابه (ص: 28)، فيقول: «فتهدمت (يقصد الكنيسة) ولم يسلم منها غير الدهليز السفلي الذي كان يجتمع فيه الرسل والمؤمنون للصلاة وكسر الخبز». الدهليز الذي قصده بهنام موجود في «الطبة السفلى المحاذية لكنيسة العذراء ومار مرقس وهو القسم الوحيد الباقي من بيت مريم أم مرقس» ص: 32.

(2) خلال مقابلة الأب مسؤول المكتبة، أوضح بأن العشاء الأخير حدث في هذا المكان (يقصد الدير) ولكن لا نعرف أين بالضبط.

(3) حسب المقابلة مع الأب مسؤول المكتبة، الذي يستذكر حجم الطمي المائي بقطع الفخار (يقول أكيد طمي تم جلبه من الخارج)، ويقول إن الدهليز الذي تحدث عنه بهنام يقع بالقرب من هذه الغرفة.

الفترة البيزنطية⁽¹⁾، ونجد أيضًا بعض المقتنيات القديمة وبعض حجارة قد تكون أجزاءً من مبانٍ قديمة كانت قائمة، ونجد مائدة مقدسة ومذبحًا حديثين.

هذه القاعة تقودنا من خلال عمر (أجزاء منه قد تعود للفترة المملوكية المتأخرة - الفترة العثمانية المبكرة)⁽²⁾. رُّمّم حديثًا، إلى قاعة جميلة طويلة نوعًا ما، عقدها نصف برميلي، ويُلاحظ مدى تنوع طبيعة حجارة الجدران، ومنها ما يبدو أنه من الفترة الرومانية. من أكثر الأجزاء التي أثارَت اهتمام الباحث وجود بئرٍ قديم كان الدير يستخدمه في الفترات السابقة، ووجود جزء مكشوف من صخرة قديمة، يُعتقد بأنها حجر الأساس (bedrock) للمبنى القديم.



الصورة الأولى لحجر الأساس
والثانية للبئر القديم

القبو النصف برميلي

حجارة من الفترة الرومانية

(1) من معطيات تقرير سلطة الآثار الإسرائيلية، خاصة ما ورد من تحليل الطبقتين الثامنة والسابعة في الحفريات الأولى. (ينصح بمراجعة التقرير كاملاً).

(2) بناء على الشرح الذي تلقاه الباحث من مرشد سياحي سرياني، وبناء على زيارة أخرى بمرافقة مهندس معماري مقدسي له خبرة في الترميم بالبلدة القديمة. ومن الطرز المعمارية المستخدمة خاصة في الأقواس والأقبية.



خلاصة القسم الاول

تميزت أدبيات الكنيسة السريانية بأن الموقع احتفظ بميزة البساطة والعناية في المحافظة على أصالة الموقع، مما يضيف الخشوع والوقار، ومعظم تلك المراجع تكرر ذات المعلومات، دون أن تضيف أي جديد، لم يتسنَّ للباحث زيارة مكتبة الدير، الغنية بالوثائق الزاخرة، ولكن لم يتم العثور على أية وثيقة علمية تتناول تحليلاً علمياً للرقيم الحجري مثلاً، ولم ينشر الدير تقارير فنية عن عمليات الترميم التي تمت من جهات مختلفة. بل إن التقرير الفني الوحيد الذي حصل عليه الباحث صادر عن دائرة الآثار الإسرائيلية.

لقد كانت الترميمات المتعددة والكثيرة مهمة، ولكنها للأسف مسحت رويداً رويداً تلك البساطة الموصوفة في الأدبيات، خاصة تلك التي تمت في الفناء الخارجي والدهليز السفلي، حيث شوهدت المنظر ومسحت العراقة.

ولا يناقش الباحث هنا أهمية الدير الدينية للسريان، هذا الدير الذي تحول إلى: رسول السريان الديني تجاه بقية العالم، وكأنه صرخة بأنهم موجودون على أرض المدينة منذ أن كان المسيح (عليه السلام) بل هم أول المؤمنين به، وفي ذات الوقت يشكل الدير جرساً يذكر العالم بما مرَّ به السريان من مجازر واضطهاد، خاصة المجازر العثمانية (سيفو). ومن خلال النقوش السريانية المنتشرة في المكان يؤكدون أهمية ومحورية اللغة السريانية لهم وللعالم، مع أن معظم الجيل الجديد لا يتكلمها.

لكن المكان بموقعه الحساس، وما يرويه من معتقدات وما يحوي من تاريخ، وجب الترويج له والاهتمام به كجزء فلسطيني أصيل تاريخياً ودينياً، ليأخذ نصيبه من السياحة الداخلية والخارجية، خاصة الدينية منها.

القسم الثاني: أولاً: السريان⁽¹⁾

تباينت آراء العلماء حول أصل معنى السريان والسريانية، إلا أن مؤرخي وعلماء السريان قالوا إنها منسوبة إلى (سورس)، الملك الآرامي الذي ظهر قبيل النبي موسى (عليه السلام)،

(1) ساكا، اسحق. كنيسة السريانية - الجزء الأول. الناشر المكتبة السريانية - حلب 2006. ص: 22-24.

وقام بالاستيلاء على بلاد ما بين النهرين وسوريا، وبهذا سُمّيت هذه البلاد (سوريا) باسمه وأهلها (سورسيين) ثم حُذف حرف (السين الثاني) فصارت (سوريين).

قبل السيد المسيح (عليه السلام) وخاصة في عهد السلوقيين الإغريق، كان السريان يُطلق عليهم آراميون نسبة إلى (آرام) الابن الخامس لسام بن نوح (عليه السلام)، الجدل الأعلى لجميع الشعوب السامية، وفي الترجمة السبعينية للعهد القديم (من العبرانية إلى اليونانية) عام (280 ق.م)، استبدل المترجمون لفظة آرام بلفظة سوريا كبديل لها أو مرادف، وهكذا بدأ يتغلب الاسم السوري على الآرامي رويدًا رويدًا. إلى أن اتَّخذ الآراميون الذين اعتنقوا الديانة المسيحية اسمًا جديدًا «السريان»⁽¹⁾ لتميَّزوا عن (الآراميين الوثنيين)، خاصة وأنهم كانوا شديدي التمسك بدينهم الجديد، الذي انتشر على أيدي الرسل الذين كانوا جميعهم من سوريا- فلسطين، حتى أصبحت هذه التسمية تشمل: مسيحيي سوريا وبلاد ما بين النهرين وفارس والهند والصين وأقصى الشرق، ففي ترجمات القرن الثاني للميلاد للعهد الجديد، أضحت السريانية والسريان تعني المسيحية ومرادفة لها.

السريانية والسريان هو الاسم الديني للكنيسة الأنطاكية، حيث «تأسست الكنيسة الأنطاكية في أنطاكية من قبل الرسول بولس في عام 37 م»⁽²⁾ حيثما وجدت في سائر أنحاء العالم، فالمسيحي مهما كانت جنسيته أو قوميته ويتنسب إلى كنيسة أنطاكية يُدعى (سريانيا)، ويوضح لنا هذا المعنى الدكتور (فيليب حتى): «إن السرياني يشير كمصطلح ديني إلى أتباع الكنيسة السورية القديمة أو السريانية، وقد انتشر بعضهم حتى في جنوب الهند. وتميز اللغة العربية بين هذه التسميات فتستعمل اسمًا سوريًا للدلالة على رعايا الجمهورية العربية

(1) عيسى، حنا. (2014/04/22). «السريان». الموقع الإلكتروني (أخبار البلد). يُنظر الرابط (شاهد في 2022/12/3):

<https://www.akhbarelbalad.net/ar/1089/5/1/>

يرى د. حنا عيسى في هذا المقال بأن «مصطلح السريان أطلقه المؤرخون اليونانيون على الآراميين».

(2) لا يزال السريان موجودين وبقوة. موقع إلكتروني: كلية بيت لحم للكتاب المقدس:

<https://bethbc.edu/ar>، تاريخ المعاينة: 2022/12/22 على الرابط: <https://bit.ly/3C6W6yd>.



السورية فقط، واسمًا سريانيًا للمفهوم الديني».

الكنيسة السريانية: هي الكنائس السريانية الطقوس واللغة، والسريان الأرثوذكس هم القائلون بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح (اللاخليديون في مجمع خلقيدونية عام 451م). صمدت الكنيسة السريانية لتحافظ على عقيدتها، أمام الاضطهاد المتكرر للوثنية الرومانية والفارسية، خلال القرون الأربعة الميلادية الأولى، وعانت أيضًا من اضطهاد الدولة البيزنطية في القرن الخامس الميلادي، وعانت أيضًا من ظلم الفرنجة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر.

استطاعت الفتوحات الإسلامية، في بدايات القرن السابع الميلادي، هزيمة الدولتين البيزنطية والفارسية، وبذلك تخلصت الكنيسة السريانية من حكم الروم والفرس، وبذلك دخلت في عهد حكم العرب المسلمين⁽¹⁾، بل إن السريان هم من سمى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بلسانهم السرياني «فاروق»⁽²⁾، أي مخلص ومنقذ ومحرر لأنه أنقذ البلاد وأنقذهم من حكم الروم والفرس.

ثانيًا: السريان في فلسطين

عاش الآراميون في الأراضي المقدسة، منذ بزوغ المسيحية، والسريان هم أول من تركوا الوثنية واعتنقوا المسيحية، وذلك بدليل «كُتبت بعض الكتب في الكتاب المقدس باللغة الآرامية وقد تكلم يسوع الآرامية والتي كانت العبرية المنطوقة في ذلك الوقت»⁽³⁾،⁽⁴⁾ ويذكر العارف في مفصله بأن أول قافلة قليلة العدد جاءت في القرن الأول الميلادي، ويضيف بأن

(1) ساكا، 2006، ص: 55.

(2) للمزيد، يُنظر: ساكا، 2006، ص: 78.

(3) نعمة، بطرس (مقابلة). (2017 / 04 / 14) السريان: لا يزالون موجودين وبقوة. كلية بيت لحم للكتاب المقدس. موقع إلكتروني: كلية بيت لحم للكتاب المقدس. يُنظر الرابط الآتي (شاهد في 4 / 06 / 2024):
وبقوة-موجودين-يزالون-لا-السريان / 2017 / 04 / 12 / bethbc.edu / ar

(4) بطرس نعمة. (لسريان: لا يزالون موجودين وبقوة. موقع إلكتروني: كلية بيت لحم للكتاب المقدس).
موقع إلكتروني.

قسماً منهم جاء مع الصليبيين، إلا أنهم رحلوا مع رحيل الصليبيين حين هزمهم صلاح الدين الأيوبي.

وكما هو معلوم أن أول أسقفية للسريان الأرثوذكس في القدس، تعود إلى العام (1471م)، وبذلك توافد دومًا الحجاج السريان، واستقر قسمٌ منهم بالقرب من الأماكن المقدسة خاصة في مدينتي القدس وبيت لحم.

يذكر المؤرخ الفلسطيني حنا عيسى، بأن «طلائع مسيحيي هذه الطائفة نزحوا إلى بيت لحم حوالي العام (1838م)، إلا أن معظمهم جاؤوا من تركيا إلى مدينة ميلاد السيد المسيح في بدايات القرن العشرين، ويتحدر معظمهم من منطقة طور عابدين»⁽¹⁾، خاصة بعد الأحداث التي عصفت بهم هناك عام (1915م: مجزرة (سيفو)⁽²⁾، اقترفتها الإمبراطورية العثمانية بحق السريان حسب روايتهم، وبذلك تشتت السريان في العالم بعد أن فقدوا أراضيهم وديارهم في تركيا والبلدان المتاخمة لها. فالسريان بخلاف «الطوائف المسيحية الأخرى»⁽³⁾، لم يكن لهم كيان قادر على حماية حقوقهم، فمالكهم الآرامية (مملكة الرها «تركيا»، مملكة تدمر «سوريا»، مملكة الحضر «العراق»، ومملكة الأنباط الأردن)⁽⁴⁾، تلاشت بعد المسيحية في القرن الثاني والثالث بعد الميلاد.

ويضيف الأب (بطرس نعمة) أنه في عام (1922م)، جاء المزيد من السريان إلى فلسطين، وقاموا بشراء قطعة أرض في بيت لحم وبنوا عليها الكنيسة الحالية عام (1926م)، أما

(1) عيسى، حنا. (22/04/2014). «السريان». الموقع الإلكتروني (أخبار البلد). يُنظر الرابط (شاهد في 2022/12/3):

<https://www.akhbarelbalad.net/ar/1/5/1089/>

(2) نعمة، بطرس (مقابلة). (14/04/2017) السريان: لا يزالون موجودين وبقوة. كلية بيت لحم للكتاب المقدس. موقع إلكتروني: كلية بيت لحم للكتاب المقدس. يُنظر الرابط الآتي (شاهد في 2024/06/4):

<https://bethbc.edu/ar/2017/04/12/ال-سريان-لا-يزالون-موجودين-بقوة>

سيفو: كلمة سريانية تعني (السيف) بالعربية.

(3) الكاثوليك واليونانيين والأرمن.

(4) عيسى، حنا. مصدر سابق.



عن حجم توأجدهم في فلسطين هو (1500) سرياني منهم (1200) سرياني في بيت لحم، وأعداد قليلة موزعين ما بين القدس وأريحا والناصرة⁽¹⁾. أما حسب أهرام، يعتبر السريان في فلسطين، ثالث طائفة مسيحية من حيث العدد بعد طائفتي الروم واللاتين، حيث «يربو عددهم جميعاً على (4000) نسمة حسب إحصاء رسمي مسيحي».

ثالثاً: السريان في القدس

يتركز وجود السريان في البلدة القديمة في المنطقة المحيطة بدير مار مرقس قيد الدراسة، هذا الدير الذي تحول من بيت ضيافة للزوار والحجاج، إلى المسؤول عن مجتمع لاجئ منكوب (بعيد مجزرة سيفو عام 1915م)، استطاع أن يجد له مستقراً آمناً في حواري البلدة العتيقة، ومجتمعاً مقدسياً في طبيعته قادراً على استيعاب الأجناس والأعراق الوافدة، بعيداً عن المعتقدات الدينية، ما دامت تلك الأجناس والأعراق مدركة لواجباتها وحقوقها باتجاه الأرض والشعب.

الوجود المستمر للسريان في القدس مهم وغير مرتبط بحجم المجتمع السرياني، فمجلة (الحكمة) الدينية التي صدر العدد الأول منها عام (1914م)، وتذبذب إصدارها لأسباب مختلفة، إلا أنه أعاد إصدارها في القدس الكاتب والصحافي السرياني المقدسي (جاك خزمو)⁽²⁾ عام 1990. استطاع المجتمع السرياني في القدس تنظيم ذاته من خلال مؤسسات عريقة، هي:

1) النادي السرياني الأرثوذكسي بالقدس: أنشئ عام 1922 بهدف «رعاية شؤون الشباب والشابات اليافيين من الضياع»⁽³⁾ هو عضو فاعل في الاتحادات الرياضية الفلسطينية، وهو

(1) تاريخ النشر 2017، 04، 12.

(2) للمزيد: عن جاك خزمو، انظر: <https://natourcenters.com/> على الرابط:

<https://bit.ly/3I7wpRP>

(3) برصوم، 2010.

أقدم نادٍ مقدسي (منذ 100 عام)⁽¹⁾. وقام برنامج الإعمار في مؤسسة التعاون بترميمه عام (2010م)⁽²⁾.

يقوم النادي بأنشطة اجتماعية وثقافية ويتميز أيضًا بفرقة الكشافية التي تأسست عام (1950م)، خاصة خلال الأعياد المجيدة والمناسبات الوطنية. ويفتخر برصوم في مقالاته بأنها من أوائل الفرق التي استخدمت آلة القرب (Bag Pipe).

لا شك بأن النادي له دور مهم في ترسيخ الهوية السريانية، خاصة لدى فئة الشباب إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنهم «أحفاد بضع عشرات من العائلات التي فرّت من جنوب شرق تركيا في عقد العشرينيات من القرن الماضي خلال المذابح العثمانية»⁽³⁾، عدا عن دوره في تعزيز الطقس الكنسي السرياني الأرثوذكسي.

تميز النادي بمعارضه الموسمية خلال الأعياد المجيدة، وغير الموسمية مثل التطريز والأعمال اليدوية، وإقامة الحفلات المتنوعة الخيرية والدينية، التي تعود بالمنفعة على النادي والطائفة، ولأعضاء النادي دور تطوعي في خدمة الزائرين والحجاج السريان الوافدين من أقطاب العالم إلى الأراضي المقدسة.

(2) جمعية مار مرقس الخيرية للسريان - القدس: (4) تم تأسيسها في أواسط العشرينيات وهي عضو في اتحاد الجمعيات الخيرية بالقدس، وتهدف الجمعية إلى مساعدة الفقراء المحتاجين والاهتمام بتعليم أبناء الطائفة، ومقرها يقع داخل مبنى الدير، ومنذ تأسيسها عملت على إنشاء (المدرسة الابتدائية للسريان)، على أرض تقع بالقرب من منطقة

(1) بال سبورت. (03/ 1/ 2022). «أقدم نادٍ مقدسي».. نادي السريان الأرثوذكس احتفل بمئويته في القدس». يُنظر الرابط الآتي (شوهدي في 04/ 06/ 2024): <https://palsport.com/article/48778>

(2) مؤسسة التعاون. الموقع الإلكتروني: <http://ocjrp.taawon.org/ar> على الرابط: <https://bit.ly/3WM6gfv>

(3) <https://alexshams.com/2015/12/21/syriac-christians-in-palestine-keep-hope-alive/>

(4) برصوم، سامي موسى. مصدر سابق. ص 17.



(المسكوبية) تابعة للوقف الكنسي، استمر عمل المدرسة من العام 1926 إلى عام النكبة 1948، كانت مدرسة مختلطة وعدد طلابها لا يقل عن 200 طالب وطالبة، وكانت تعلم هذه المدرسة اللغات العربية والسريانية والإنكليزية، وانتقلت المدرسة للعمل داخل البلدة القديمة، لتباشر عملها في بيت مستأجر مكون من خمسة غرف، واستمر عمل هذا الفرع من عام (1949م) حتى عام النكسة (1967م). من المشاريع المميزة للجمعية، مشروع الإسكان لطائفة السريان الأرثوذكس بالقدس، على أرض في منطقة (ضاحية بيت حنينا) تبلغ مساحتها 13 دونماً. ومن أبرز رؤساء الجمعية المرحوم (جاك خزمو).

(3) دير مار مرقس في القدس⁽¹⁾: هو من أقدم الأديرة في القدس، تم بناؤه في القرن الأول الميلادي حسب شهادة خبراء الآثار والوثائق التاريخية التي بحوزة الدير، وبهذا هو أقدم من كنيسة القيامة التي بنيت في عهد الإمبراطورة هيلانة عام (313م).

فقدت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الكثير من الأملاك في البلدة القديمة وخارجها، لصالح الطوائف المسيحية الأخرى وأحياناً لصالح الجهات الحاكمة، فمثلاً كان السريان يملكون خمسة أديرة، لم يتبق لهم منها سوى دير مار مرقس الذي أصبح كما ذكر سابقاً مقر أبرشية الديار المقدسة والأردن، والأديرة الأربعة التي كانت بحوزة السريان هي:

- دير العدس: المذكور سابقاً، والواقع في (عقبة راهبات صهيون)، في المشرق الأول حين الصعود يميناً (حوش العدس) وهو الآن بحوزة طائفة مسيحية أخرى.

- دير البشارة، أصبح اليوم مقهى الباشورة.

- دير مار توما، هو اليوم مسجد اليعقوبي.

- دير المجدلية (السمعاني)، وهو حالياً في منطقة المأمونية.

فيما عدا الدور الديني، للدير أدوار أخرى في المجالات الاجتماعية والثقافية والحرفية والمهنية، عدا أنه المؤسسة الحاضنة للسريان ومؤسساتهم الأخرى، فعلى سبيل المثال كانت

(1) برصوم، 2010، ص: 20-21.

جريدة الجهاد اليومية، تُطبع في مطبعة الدير ما بين أعوام 1948-1951، فماكينة طباعة الدير يزيد عمرها على مئة عام.

عانى السريان المقدسيون، ويلات النكبة والنكسة، أسوة ببقية المجتمع المقدسي والفلسطيني، فالعديد منهم هاجر بعد النكبة إلى «الأردن والولايات المتحدة الأمريكية»، وكذلك بعد النكسة «عائلات مقدسية سريانية اختفت»⁽¹⁾، حيث أدت الخسائر الاقتصادية الناجمة عن الاحتلال والحملات الإسرائيلية اللاحقة على الانتفاضات إلى تدفق مستمر للهجرة.

يعبر برصوم عن حجم الإجحاف والظلم الذي مسّ السريان المقدسيون في البلدة القديمة عندما احتلتها إسرائيل، «كان كل هذا الحي سريانياً، مشيراً من متجره إلى الحي اليهودي. في عام 1967، عندما سيطرت إسرائيل، كان جميع السريان على هذا الطريق. لقد أخذوا كل شيء، كل منزل، واليوم لم يبقَ أي سرياني واحد»⁽²⁾. بمعنى أنه تم طرد مئات السريان وسلمت منازلهم ومتاجرهم للمستوطنين اليهود، فحي السريان اليوم وكأنه جزء من الحي اليهودي الذي ابتلع أيضاً العديد من الأحياء العربية، وجُرد كل من هو غير يهودي من مسكنه ومصدر رزقه.

فالإجراءات والقوانين الإسرائيلية المطبقة في القدس، تستهدف كل من هو غير يهودي، خاصة فيما يتعلق بحق الإقامة والبناء والمضايقات المستترة ونقاط التفتيش والاعتقالات، وهكذا يعتبر «السريان المقدسيون جزءاً لا يتجزأ من فسيفساء فلسطين الثقافية والدينية»⁽³⁾.

يتميز سريان القدس بعملهم في قطاع السياحة (أدلاء سياحيين ومحلات تحف شرقية) ومؤسسات مجتمع مدني غير حكومية وفي السفارات، ومنهم الأطباء والمحامون والمهندسون وأصحاب الحرف والمهن، وهناك العديد من النماذج الفذة، التي كان لها أطيّب الأثر في نمو

(1) تصريح أحد الذين تم مقابلتهم.

(2) مقابلة، أجراها Alex Shams بتاريخ: 2015 / 12 / 21. يُنظر الرابط:

<https://alexshams.com/2015/12/21/syriac-christians-in-palestine-keep-hope-alive/>
SYRIAC CHRISTIANS IN PALESTINE KEEP HOPE ALIVE AMID IS FEARS

(3) تصريح أحد الذين تمت مقابلتهم.



المجتمع المقدسي خاصة والفلسطيني عامة في مجالات عدة: كالصحة والسياحة والسفر والأدب والتجارة والصحافة والتعليم بمراحلها المختلفة.

وهناك أوقاف للكنيسة السريانية تقع داخل البلدة القديمة وخارجها، خاصة في منطقة شارع الأنبياء وشارع يافا والمسكوبية، وهناك قطعة أرض في أبي غوش مساحتها أربعة دونات، وهذه الأوقاف لجنة تدير شؤونها، وقد تم اعتماد اللجنة الأخيرة خلال عام (2020م).

العلم السرياني: تزهو حارة السريان في القدس بـ«العلم الآرامي السرياني»⁽¹⁾، الذي تم اعتماده في العام (1980م)، ويحمل معاني دينية وقومية. فالنجوم الأربعة تمثل «الممالك التاريخية الأربعة للآراميين التي نشأت في المنطقة الواقعة شمال سوريا/ جنوب تركيا الحالية»⁽²⁾ والشعلة ترمز إلى «الروح القدس في المسيحية»⁽³⁾ والخلفية الحمراء تمثل دماء السريان التي سُكبت على مدى التاريخ، خاصة في مجازر الدولة العثمانية سابقة الذكر، أما اللون الأصفر فيمثل الأمل، في حين يرمز شكل الطير (نسر أو صقر) إلى الشغف إلى الحرية والانتعاق والانطلاق بعيداً عن الواقع المأساوي والعودة نحو الوطن كأمة.



العلم السرياني

(1) الموقع الإلكتروني: <https://areq.net/> على الرابط: <https://bit.ly/3i82TB2>

(2) ريفيدي، 2016، ص: 166.

(3) الموقع الإلكتروني: <https://areq.net/> على الرابط: <https://bit.ly/3i82TB2>

خلاصة القسم الثاني

وجد الباحث مجتمعاً سريانياً واعياً لمفاهيم الهوية المركبة القومية والجنسية والدينية، يتحدثون اللغة العربية رغم وجودهم في مستنقع الاستيطان الأكبر في البلدة القديمة، إلا أن حيّهم مليء بالأعلام السريانية، وكأنهم يقولون إننا من هناك ومن هنا.

لم يجد الباحث صعوبة في بحثه من ناحية تعاون الأصدقاء السريان، خاصة فيما يتعلق بالمقابلات، فهم منفتحون ويودون أن تكون روايتهم رائجة. شباهم كشباب القدس يعانون من سياسات الاحتلال ويسعون لتمكين صمودهم على الأرض المقدسة التي أصبحوا جزءاً من فسيفساء مجتمعها المميز. أما المسؤولون منهم فيحاولون تحسين نوعية حياة شباهم، ببناء علاقات متزنة مع الجميع مع المحافظة على أن من استقبلهم على أرضهم هم الفلسطينيون وليس غيرهم، حيث قال الأب شمعون بما معناه: النكبة والنكسة كانت لكل واحد هون، فلتنخيل قليلاً، عدد السريان بالقدس قبل عام (1948م) كان أكثر من عددهم الآن وكذلك عند النكسة عام (1967م) كان عددهم أكثر من الآن.

إن الشعب الفلسطيني والسريان مشتركان في مقارعة الظلم، فهم تشتتوا وشعبنا هُجّر قسراً عن أرضه، شعبنا عانى من المجازر وهم كذلك... لقد سنحت الفرصة خلال فترة إعداد هذا البحث، للقاء شاب سرياني قادم من كندا وأصله من سوريا، فعرضت عليه أن أصحبه لدير مرقس، فردّ علي قائلاً: أمامي نصف ساعة وأغادر القدس، ياريت تدلني كيف أصل إلى الأقصى... لأعين قبة الصخرة المهتدة بالتدمير من اليهود ولأنها أجمل بناء عربي... لقد استوعبت بأن هويته عربية خالصة. من المهم خلق أدوات للتواصل مع الدير والجمعية والنادي، ويكفي أن نقول إن البطل العالمي في مصارعة الذراعين المقدسي (أفرايم زنبيل) فاز بالذهبية باسم فلسطين.



المراجع

الكتب

- 1- الكنيسة السريانية الأرثوذكسية (الآرامية). (2009 /07 /12). بيت مرقس أول كنيسة في المسيحية. القدس. الطبعة الثانية في «مطوية الدير».
- 2- برصوم، سامي موسى. (2010). «كلمة حق يجب أن تقال في تاريخنا المجيد». د. ن.
- 3- بولس بهنام، غريغوريوس. (1962). دير مار مرقس للسريان. القدس: دار الطباعة العربية.
- 4- النتشة، يوسف. (2020). تراث القدس المعماري. القدس: مؤسسة التعاون.
- 5- سلمان، أسامة. (2022). أين-يعيش-الفلسطينيون-المسيحيون-في-البلدة-القديمة-في-القدس-المحتلة. القدس: مؤسسة الرؤيا الفلسطينية.
- 6- العارف، عارف. (2005) الفصل في تاريخ القدس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الثالثة.
- 7- ساكا، اسحق. (2006). كنيسة السريانية- الجزء الأول. حلب: المكتبة السريانية. الدراسات العربية
- 8- ريفدي، وسام. (ربيع 2018). السريان الفلسطينيون وازدواجية الهوية. رام الله: مجلة الدراسات الفلسطينية. ص: 149-173.

الدراسات الأجنبية

- 9- Levi, Ron. (2021). «Jerusalem, The Assyrian Monastery». Israel Antiquities Authority.
- 10- Braid, Emanuela «Le annotazioni garšūnī nei manoscritti siriaci e cristiano-palestinesi» 2009-2010 (uni. Di Pisa)
- 11- Murre-van den Berg, Heleen. (2013). «A Center of Transnational Syriac Orthodoxy: St. Mark's Convent in Jerusalem». Leiden University, Netherlands.
- 12- مقابلات وزيارات ميدانية للحي والموقع: مختار السريان، ومرشدان سياحيان من السريان، ومهندس مدني يعمل بالدير، ومكالمة هاتفية مع محام سرياني ومقابلة رجل دين.